أريد أن أكلمكم في هذه المحاضـرة عن أنواع كثيرة من المحبة... ما هي المحبة؟ وما أنواعها؟ وما هي درجاتها؟ وما هو المقبول منها

[1]ألـوان مـن المـحبة

الله والمحبة الإلهية:

✝ المحبة هي الله. الله محبة. وكما يقول الكتاب "الله محبة. من يثبت في المحبة، يثبت في الله، والله فيه". في البدء كانت المحبة، كان الله منـذ الأـزل، قبـل الكـون. وبهـذا الحب خلق الله الكون. خلق الملائكـة وأحبهم، وخلق البشـر وأحبهم. وكمـا أحب الله خلاـئقه، أحبته خلائقه أيضًا...

أحب الإنسان الله، ولم يكن له حب غير هـذا. هـذه هي المحبـة الإلهية. آدم قبل خلق حواء، كانت محبته مركزة في الله وحده.

المحبة الروحية:

ثم خلق الله حواء، معينًا لآدم، وعرف آدم في علاقته بها قبل الخطيـة، لونًا آخر من المحبـة هو المحبـة الروحيـة. لم يكن الجسد قد بدأ دوره بعد، وكانت محبة آدم لحواء محبة روحية تشبه محبة الأخ لأخيه، والأب لابنه، والصديق لصديقه، ومثل محبة الملائكة للبشر.

وبالمحبـة الروحيـة التي كانت بين آدم وحواء قبل الخطيـة، بدأ الإنسان يحب الإنسان إلى جوار محبته لله، دون تعارض، ودون أن تنقص إحدى المحبتين شيئًا من الأخرى.

ثلاثة أنواع أخرى من المحبة:

✝ ثم سـقط الإنسان، وبسـقوطه وقع في ثلاثـة أنواع أخرى من المحبـة، يمكن أن تبعـده عن محبـة الله، ثلاثـة أنواع من المحبة لا هي إلهية، ولا هي روحية، فماذا كانت؟

1- **محبة الذات، إذ اشتهى لذاته أن تكبر "وتصير مثل الله".**

2- **محبة المادة، إذ اشتهى ثمرة الشجرة ووجدها "بهجة للعيون".**

3- **محبة الجسد، إذ تفتحت عيناه، وفقد براءته، وخضع لشهوة الجسد، والجنس.**

وهكـذا وقع الإنسان في محبـة العالم بكل أعماقها، كما قال عنها الرسول: "إنها شـهوة الجسـد، وشـهوة العين، وتعظم المعيشـة". لم تكن عنـده هـذه الأـمور من قبل: لم يكن يحارب قبلًا بمحبـة الـذات في تعظم المعيشـة، لم يكن يشـتهي أن يكبر. لم يكن أيضًا محاربًا بمحبة المادة. كان ينظر إلى جميع الأشـجار في بساطة دون أن يجد إحداها "شـهية للنظر، وجيدة للأكل، وبهجة العين". كذلك لم يكن يعرف شـهوة الجسـد. كان عريانًا وينظر إلى رفيقه العريان، دون خجل أو شـهوة.

ومن ذلك الحين، والإنسان تتنازعه هـذه الأنواع الخمس من المحبـة: المحبـة الإلهيـة، والمحبـة الروحيـة، ومحبة الذات، ومحبة الجسد، ومحبة المادة.

وحياة الإنسان الروحية ما هي إلا جهاد متواصل يتنقى فيه من أنواع المحبة الخاطئة، لكي يثبت في المحبة الإلهية...

حدود المحبة البشرية الطاهرة:

حتى المحبـة البشـرية الطاهرة بكل أنواعها، وضع لها الرب حـدودًا، فقال "من أحب أبًا أو أمًا أكثر مني فلا يسـتحقني، ومن أحب ابنًا أو ابنة أكثر مني فلا يستحقني" (متى10: 37).

المحبة الإلهية، هي الأول والأهم، وتشمل القلب كله.

وهكذا قال الكتاب: "تحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل قوتك" (تث6: 5). وبعد ذلك تأتي المحبة البشرية الطاهرة، محبة القريب: "تحب قريبك كنفسك".

ولكن على شرط أن هذه المحبة لا تزيد على محبة الله، ولا تتعارض مع محبة الله.

كل محبة طاهرة نحبها للناس، ينبغي أن تكون داخل محبة الله، ليست منفصلة عنها، وليست إلى جوارها، وإنما داخلها...

بالنسبة إلى أهل العالم كان الشيطان يحاربهم بالجسد أو المادة أو الذات. مثلما حارب العالم قبل الطوفان حين "رأى أولاد الله بنات الناس أنهن حسنات" (تك6: 2) ومثل كل حروب الجسد التي لا تحصى. كذلك حروب المادة، مثل محبة المال، ومحبة القنية..

أما أولاد الله، فعندما يريد الله أن يجربهم إنما يمتحنهم في المحبة الطاهرة الروحية، مثلما اختبر الله إبراهيم في محبته لابنه...

أراد الله أن يرى هل محبة الأب لابنه، هذه المحبة الطاهرة، المحبة الطبيعية، وليست للابن فقط، وإنما بالأكثر للابن الوحيد، ابن المواعيد ابن الشيخوخة، الذي انتظره الأب سنوات طويلة، هل هذه المحبة يمكن أن تفوق محبته لله، ويمكن أن يعصي الله بسببها إن طلب إليه أن يرفع سكينه على هذا الابن، ويقدمه محرقة...؟! إن إبراهيم أبا الآباء أثبت أن محبة الله في قلبه تفوق كل محبة أخرى، مهما كانت طاهرة وروحية وطبيعية... بهذا الوضع، وبنسبة أقل بكثير، أخذت حنة ابنها صموئيل، ابنها الوحيد، الذي ولدته بعد عقم، ابن الصلوات والدموع، وقدمته عارية للرب، يخدم الرب كل أيامه، وأثبتت أن محبتها لله أكثر.

أن محبتنا للناس في الخدمة هي محبة إلهية. نحن نحب الله، ونريدهم أن يحبوه كما نحبه وأكثر، نريد أن ندخل الله في قلوبهم، لأننا نحب الله ونحب ملكوته...

فلنختبر محبتنا:

كثيرا ما تظن أم أنها تحب ابنها محبة حقيقية! ولكن يعوزها أن تعرف: هل هذه محبة روحية كجزء من محبتها لله؟ أم هي مجرد محبة طبيعية؟ أم هي محبة لذاتها هي...؟!

إنها تحب ابنها: تطعمه وتلبسه وتسمنه وتربيه وتعلمه وتزوجه... ولكنها في كل ذلك لم تظهر محبتها الروحية له، ولم تظهر محبتها لله فيه، ولم تهتم بروحه وأبديته... إنها محبة الدم للدم، محبة طبيعية ولكنها لم تصل بعد إلى المستوى الروحي!

وقد تختبر محبة لابنها عندما يطلب أن يخصص للرب كاهنًا أو راهبًا... فإذا رفضت أن تعطيه للرب، ووقفت في طريقه الروحي، فماذا نسمي محبتها إذن؟ ألا تكون مجرد محبة للذات، الذات التي لا تريد أن تتنازل عن ملكيتها، حتى لو كان هذا التنازل للرب نفسه...!!

من أعظم الأمثلة في محبة الأم، ما عملته أم موسى لابنها...

في سنوات الطفولة القليلة ثبتت محبة الله في قلبه، ولقنته معرفة الله بطريقة استطاع بها أن يصمد أما العبادات المصرية القديمة في قصر فرعون مدى 40 عامًا...!!

إنها محبة الأم التي تكون إشبينة لابنها، وليست مجرد مربية تدلله لتكسب محبته، ولو على حساب محبة الله...

ما أكثر الأمهات اللائي يفسدن أولادهن تحت اسم الحب والعطف والتدليل. وقد يساعدن الأولاد على هذا الفساد بالمال، وقد يخفين عن الأب حقيقة الابن وطيشه، بل قد يكذبن، وكل ذلك باسم الحب... إن رفقة كادت تضيع ابنها يعقوب من فرط محبتها الزائدة له، وأوقعته بمحبتها في خطايا كثيرة...

لذلك علينا أن نختبر محبتنا، ما نوعها؟ في صدق وتدقيق...

فإن كنت حقًا تحب الله، اِسأل نفسك:

هل تحب الجلوس معه، والحديث إليه، والتأمل فيه...؟

هل تشتاق إليه كما تشتاق الأرض العطشانة إلى الماء؟

هل تفضله على كل محبة أخرى، وعلى كل لذة أخرى؟

لذلك كان أعمق الناس محبة لله، هم الذين سعوا إلى محبته واكتفوا بها، وفضلوها على الكل...

أولئك الذين من أجل الله تركوا الأهل والأحباب، وتركوا كل شيء، ولم يحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم، من أجل عظم محبتهم للملك المسيح. ومن أمثلة هؤلاء، الرهبان والمتوحدين والسواح الذين لم يجعلوا في قلوبهم ولا في أفكارهم سوى الله وحده، الذي صار لهم الكل في الكل.

ويشبه المتوحدين والسواح في محبتهم لله، أو يفوقهم، الشهداء لأنهم لم يتركوا فقط كل شيء من أجل الله، إنما تركوا الحياة أيضًا من أجله، بكل ما فيها...

من الـذين تملك أيضًا المحبـة الإلهيـة على قلوبهم، الرعاة والخدام، الذين يبذلون ذواتهم من أجل بناء ملكوت الله، يضـحون بكل راحتهم، وكل وقتهم، وكل جهدهم من أجل أن يدخلوا محبة الله في قلوب الناس...

المحبة الإلهية في عمقها، هي المحبة الذين تفرغوا لله، قلبًا ووقتًا وصارت محبة الله هي شغلهم الشاغل.

يفكرون في الله، يتحدثون إلى الله، يسـتمتعون بالله، ينفردون بالله، ينشـغلون بالله ليس لهم عمل سوى الله وحده. وليست لهم شهوة سوى الله وحده... فهل أنت كذلك أم لك شهوات أخرى ورغبات ومشغوليات رديه كانت أم غير رديه...؟!

الإنسان إذا دخل في الروحيات، لا تصبح له شـهوة ولا رغبـة ولا طلبـة سوى الله وحده، الله ساكنًا في قلبه وفي قلوب الناس...

وعمل هذا الإنسان هو أن يغربل جميع المحبات التي في قلبه، ولا يستبقي سوى الله، وداخل الله يجد كل محبة أخرى.

يحتاج الأمر منا إلى إعادة تقييم الأمور. الذي يحب الله، يعطي كل القيمة لمحبة الله، وتفقد باقي الأمور قيمتها.

يقول مع بولس الرسول "خسـرت كل الأشـياء، وأنا أحسبها نفاية، لكي أربح المسيح". ومثل موسى النبي الذي "حسب عار المسيح غنى أفضل من كل خزائن فرعون.

نحتاج أيضًا إن نتخلص من محبـة الـذات، لأنها كثيرًا ما تشـغلنا عن محبة الله. وإن فكرنا فيها، نهتم كيف تصـير ذاتنا صورة لله وهيكلًا لله...

حقاً إننا بعـدنا عن الهدف الحقيقي للحياة، واخترنا لنا أهدافًا أخرى عالمية. أصـبحنا نهتم بما سـنتركه، ولا نهتم بما سـنلقاه. العالم كله سنتركه. فلماذا ننشغل به؟!

ليتنا نراجع المحبة التي في قلوبنا. ننقيها، ونفرغها لله، وننمو فيها يومًا بعد يوم. ونهتم بالمحبة الإلهية أكثر من الكل...

---

1. مقال لقداسة البابا شنوده الثالث - بمجلة الكرازة - السنة السادسة (العدد الثامن والعشرون) 11-7-1975م